مُدرس الابتدائي

كيرلس عاطف

انها ليست بالتجربة الخاصة أنا فقط شاهد عليها

اسمي الأستاذ (ربيع)، مدرس ابتدائية بقرية (كفر القشاش) محافظة الفيوم.

أتى للعمل بالمدرسة معلم جديد، شاب حديث السن ذو صحة جيدة تم تعيينه للعمل في تلك القرية وفي مدرستها الوحيدة بالطبع ، كان يمتلك من النشاط والصحة والعافية للقيام بأعتى الأمور، وكجميع الشباب في عمره لم يكن يمتلك سوى حلم وحيد وهو البيت والسيارة والزوجة الصالحة.

وكعادة أي فرد مثل(مؤمن) ينتقل للعمل بمكان آخر ظل يبحث عن مكان للسكن حتى عرض أحد أولياء الأمور لطالبٍ عنده أن يجلس في منزله القديم مجانًا وذلك في مقابل إعطاء درس خاص لصبيه.

عرض مغري مثل ذلك لا يستطيع رفضه خاصة أنه سيوفر عليه الكثير من الأموال، وبالطبع وافق ومرت الأيام، يومًا يتبعه لاحقه في منزل الحاج(عبد الله)القديم القابع على مشرفة القرية والمكون من طابق واحد.

طرقت الكوابيس عقل (مؤمن) واستطاعت أن تقتحم أحلامه، دومًا ما حكى عن إفاقته المفاجئة غارقًا في عرق غزيروأنفاس تتصارع من أجل الخروج، كل ذلك بسببه، بسبب الكابوس الذي يتلاشى عن بكرة أبيه من ذاكرته بمجرد استيقاظه، ولكن ما يعلق في ذهنه أنه كان يحلم برجلٍ غريب يبكي.

حتى أفاق في ليلة الساعة الرابعة والنصف فجرًا على نفس الصوت، لكنه لم يتوقف كعادة الأمر بمجرد استيقاظه؛ لأن الكابوس انخلط بالواقع، وواقعه جعل صوت البكاء يأتي من مطبخ منزله!

حاول أن يجمع تركيزه و يذهب ليكتشف الأمر، فتح باب غرفته، ليلْمح في المطبخ ظل رجل جالس منكمش علي نفسه يبكي ويصرخ، هرول ناحية إقفال الإضاءة؛ لينتشر النور في المكان ليظهر المطبخ خاليًا و يختفي الصوت!

حالة الأرق بدأت تتوالى عليه طوال الليالي، يخاف النوم كي لا يستيقظ علي هذا الصوت من جديد!

أثر ذلك على حالته الجسدية فأصبح هزيلًا هشًا، بين يوم وليلة تحول (مؤمن) الشاب النشط ذو العافية العاتية إلى ما يشبه الجثة الهامدة!

في يوم غلبه النوم وكانت الكارثة عند إفاقته واجدًا نفسه بأرضية المطبخ، وصوت البكاء المستمر يعلو من كل جانب حوله، لم يفكر كثيرًا في الهروب من ذلك الكابوس وفضَّل اللجوء إلى منزل الأستاذ (ربيع)-أنا-أتى(مؤمن) لمنزلي الخامسة فجرًا بتلك المواعيد الغريبة لي كامل الحق في طرده؛ ولكن كصديق ويطلب الخدمة وهي المبيت حتى يتصرف في مسكن جديد، لا أستطيع رده فادخلته، و قص عليَّ ما جري معه!

بالحقيقة تملكني الخوف قليلًا تجاهه بعد ما رواه، دوري كصديق يحتم علي مساعدته لكن ليس على حساب أهل بيتي؛ فمن المحتمل أن يصيب نفسه بأذى ويحملني مسؤليته، فأدخلته لينام في غرفة بمفرده، وأغلقتها عليه من الخارج.

(مؤمن) تمكن من النوم بشكل طبيعي في ذلك اليوم، هنا تأكد أن البيت شبه مسكون، لكن اعتقاده ذلك لم يستمر كثيرًا؛ لأن بأحد الأيام بالمدرسة أصابته حالة من الصرع الشديد أثناء وجوده بالفصل وكان علي وشك إيذاء التلاميذ، لذلك تم وقفه عن العمل واتهامه بالجنون!

بهذا اليوم رجع إلى بيتي وانطوى على نفسه بغرفته وطلب إغلاقها وألا أفتحها إلا لأناوله الطعام فحسب، ولكن اليوم التالي حين دخلت لاضع له الإفطارلم اجده بالحجرة!

علمت بعد ذلك أنه بذلك اليوم أفاق في منزل الحاج(عبد الله)القديم، ليس ذلك فحسب بل إنه ذهب لمنزل الحاج(عبد الله)وأخبره أنه ليس(مؤمن)بل هو شخص آخريُدعى (سيد) وقال أنه قادم للانتقام منه ومن ولده!

بالطبع السؤال الآن من(سيد)؟!

(سيد) شاب بنفس عمر(مؤمن)تقريبًا، ولد الحاج(فتحي)، اختفى(سيد) منذ ما يقرب العشر سنوات ولا أحد يعرف مكانه، ظن أبواه أنه رحل لأوروبا تحقيقا لحلمه منذ الصغر، لكن كيف بين عشية يومٍ وضحاها، وبدون أثر هكذا؟!

بالطبع تواردت أخبار (مؤمن) ذلك الفتى غريب الأطوار حتى وصلت للحاج (فتحي)ولعلمه بغرابة أفعال(مؤمن) وحركاته خاف منه، و قرر أن يسألني أنا – صديقه المقرب كما هو ظاهرللناس- عن حكاية (مؤمن).

وبعد علمه بما جرى ل(مؤمن) في بيت الحاج (عبد الله) القديم، وكأنه أحس بأنفاس ابنه هناك، فأبلغ الشرطة أن ولده(سيد)تم قتله في منزل الحاج(عبد الله)القديم وبخاصة في المطبخ!

الشرطة بالفعل عثرت علي هيكل عظمي مدفون بأرضية المطبخ وعند القيام بتحليل جينات الهيكل العظمي وجدوها متطابقة مع جينات الحاج (فتحي)مما يعني أنها جثة ابنه(سيد)!

وبدأت الشرطة تحقيقها مع أسرة الحاج(عبد الله)كلها حتى اعترفت ابنته(أماني)علي كل ما حدث:

أخبرتهم أنها تزوجت(سيد)عرفي، وحين حملت منه اشتعل غضبه وأصر أن ينزل الجنين،حلم(سيد)كان الهروب من البلاد إلى أوروبا، وجود زوجة وولد سيعطله عن تحقيق حلمه؛ فضربها بعنف حتي سقط الجنين.

عندما علم أخوها(مروان)بما ارتكبه(سيد)بحق أخته، أخذ يضربه حتى مات في يديه دون أن يدرك، ضربه حتى الموت في نفس المكان الذي فيه ظل(سيد)يضرب(أماني)دون رحمة حتى مات الجنين في رحمها دون أن يرى النور، هذا طبعًا في نفس البيت الذي شهد مقابلات(أماني)و(سيد)خفية دون علم أحد، ونفس البيت الذي فتح أبوابه الموصودة في وجه(مؤمن)، الذي طالما سمع فيه أصوات(سيد)يعتذر ل(أماني)عما فعله طالبًا سماحها فهو لم يكن بوعيه ويعتذر لأخيها طالبا رحمته، كل ذلك الساعة الرابعة والنصف فجرًا، وقتما ودع(سيد)حياته!

تم القبض علي كل من(مروان)بتهمه القتل العمد وأخته(أماني)بتهمة التستر علي جريمة، تاركين الحاج(عبد الله)في همومه وصدمته علي ولديه الإثنين.

أما(مؤمن)فحالتة بدأت بالتحسن تدريجيًا ، ورجع للعمل مرة أخرى، بالتأكيد هو أكثر شخص تعرض للأى بدون سبب جراء هذا، لكن علي أقل تقدير ساعد في كشف جريمة ظلت صفحاتها مطوية ما يقارب العشر سنوات!

obeikandl.com